

علم الكلام والمذاهب الكلامية

أهداف الدرس

1. أن أتعرف نشأة علم الكلام وأسبابه ومقاصده؛
2. أن أثبت ظهور المذاهب الكلامية وظروف نشأتها؛
3. أن أستشعر مكانة المذهب الأشعري بين المذاهب الكلامية.

تمهيد

نشأ علم الكلام للدفاع عن العقيدة الصحيحة وصيانتها من الأباطيل والآراء الفاسدة، وبذلك نشأت معه مذاهب كلامية تميز كل منها بخصائص ومميزات.

فما هي أسباب نشأة علم الكلام؟ وما هو سياق نشأة المذاهب الكلامية؟

نص الانطلاق

قال ابن عساكر رحمه الله: «فلما ظهر أهل الأهواء وكثر أهل البدع من الخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية وأوردوا الشبه، انتدب أئمة أهل السنة لمخالفتهم، والإيصال للمسلمين بمباينة طريقتهم، فلما أشفقوا على القلوب أن يخامرها شبههم، شرعوا في الرد عليهم وكشف شبههم وأجابوهم عن أسئلتهم، وحاموا عن دين الله بإيضاح الحجج، ولما قال الله تعالى ﴿وَجَلَّ لِلْعَمِّ بِاللَّيْلِ أَحْسَرُ﴾ [النحل: 125]، تأدبوا بأدابه سبحانه، ولم يقولوا في مسائل التوحيد إلا بما نبههم الله سبحانه عليه في محكم التنزيل، والعجب ممن يقول ليس في القرآن علم الكلام، والآيات التي هي في الأحكام الشرعية نجدها محصورة، والآيات المنبهة على علم الأصول نجدها توفي على ذلك وتربي بكثير، وفي الجملة لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين: جاهل ركن إلى التقليد، وشق عليه سلوك طرق أهل التحصيل، وخلا عن طرق أهل

النظر، والناس أعداء ما جهلوا، فلما انتهى عن التحقق بهذا العلم نهى الناس ليضل كما ضل، أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه، ويعمي عليهم فضائح عقيدته، ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعهم، ويظهرون للناس قبح مقالاتهم، والقلاب لا يحب من يميز النقود، والخلل فيما في يده من النقود الفاسدة كالصراف ذي التمييز والبصيرة، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَقَدْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 10]، فهذا ما حضرني من مدح الكلام والمتكلمين وذكر بعض من كان نعلمه من علماء المسلمين». [تبين كذب المفتري، ص 358].

الفهم

الشرح:

- **أهل الأهواء:** كل فرقة خالفت أهل السنة في أصل أو أكثر من أصول الدين.
- **أهل النظر:** علماء الكلام.
- **مقالاتهم:** الآراء والقضايا العقدية التي يعتقدونها.

استخلاص المضامين:

- استخلص ظروف نشأة علم الكلام وظهور المذاهب الكلامية.

التحليل

نتناول هذا الموضوع من خلال مسألتين:

المسألة الأولى: نشأة علم الكلام: الأسباب والدواعي

بدأت إرهاصات علم الكلام في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم؛ ليواجه بعض التحديات والإشكالات والمقالات العقدية، والفرق والجماعات التي أصبحت تخوض في قضايا دينية وتتبنى مقالات عقدية فاسدة، حيث تعين على العلماء أن يققوا في وجه هذه الفرق ويواجهوا هذه الآراء بالحجة والبرهان صيانة للعقيدة الصحيحة، وردا على المخالفين والمنحرفين بالحجج العقلية والنقلية، سيما في ظل التوسع الجغرافي للدعوة الإسلامية إلى مناطق يحمل أهلها ثقافة وتراثا فكريا يغترف من الثقافة اليونانية والفارسية والهندية وغيرها وترجمة الكثير من تراث هذه البلدان

إلى العربية، ومن القضايا العقيدية التي أثير نقاش مبكر حولها، وأسهمت في ظهور علم الكلام قضية الإمامة، والقول بالقدر، وخلق القرآن، وتكفير مرتكب المعصية، ونفي رؤية الله تعالى في الآخرة، ونفي الصفات... وغيرها، يقول الشهرستاني: «وأما الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، ويونس الأسواري، في القول بالقدر، وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر». [الملل والنحل، 1/28].

ويروى أن أول الوقائع الشاهدة على نشأة علم الكلام ما جرى بين الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء الغزال حيث: «دخل رجل على الحسن البصري وهو يدرس في مسجد البصرة، فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يُخَرِّجُ به عن الملة، وَهُمْ وَعِيدِيَّةُ الْخَوَارِجِ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان... وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فَتَفَكَّرَ الْحَسَنُ وَقَبْلَ أَنْ يَجِيبَ قَالَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءَ: أَنَا لَا أَقُولُ إِنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ مُطْلَقٌ وَلَا كَافِرٌ مُطْلَقٌ، بَلْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ، ثُمَّ قَامَ وَاعْتَزَلَ إِلَى أَسْطُوَانَةٍ مِنْ أَسْطُوَانَاتِ الْمَسْجِدِ، يَقِرُّ مَا أَجَابَ بِهِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِمَّنْ تَرَكَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: اعْتَزَلْنَا وَاصِلَ، فَسُمِّيَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مُعْتَزِلَةً». [الملل والنحل، 1/48].

فهذه القصة تؤرخ لبداية نشأة هذا العلم من جهة، وتدل على أسبقية فرقة المعتزلة في علم الكلام من جهة ثانية، ومن العلماء الذين خاضوا في علم الكلام في بداياته واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، وغيرهم، غير أن مباحثه في هذه المرحلة لم تكن قد انتظمت، وقواعده لم تكن قد استقرت، ولم يتطور هذا العلم أكثر إلا بدخول الأشاعرة معتركة لمواجهة المعتزلة والرد عليهم والدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي هذه المرحلة اتضحت معالم هذا العلم ووضعت مقدماته واستقرت قواعده.

وغاية نشأته كما يقول الغزالي هي: «حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة، فقد ألقى الله تعالى على عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق، على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة، فلهجوا بها، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها، فأنشأ الله طائفة من المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة، بكلام مرتب يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثه، على خلاف السنة الماثورة، فمنه نشأ علم الكلام وأهله، فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى إليه، فأحسنوا الذب عن السنة، والنضال عن العقيدة المتقااة بالقبول من النبوة». [المنقذ من الضلال، ص 118].

المسألة الثانية: نشأة المذاهب الكلامية

نشأت المذاهب الكلامية بالتزامن مع نشأة علم الكلام؛ حيث كان الوسيلة التي يدافع بها أصحاب الفرق والمذاهب على اختياراتهم الفكرية ومقالاتهم العقدية، وقد ظهر في وقت مبكر مجموعة من المذاهب الكلامية، ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين حيث يقول: «اختلف المسلمون عشرة أصناف: الشيع والخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية والضرارية والحسينية والبكرية والعامة وأصحاب الحديث والكلابية أصحاب عبد الله بن كلاب القطان» [ص5].

وسنقتصر على التذكير بسياق نشأة المذاهب المشهورة، وذلك على الترتيب التاريخي الآتي:

1. الخوارج: وهي فرقة ظهرت حين رفضت مجموعة من أتباع علي رضي الله عنه وكرم وجهه التحكيم بينه وبين معاوية، وقد اشتهرت هذه الفرقة بتكفير مرتكب الكبيرة.

2. المرجئة: وهي فرقة قصرت مفهوم الإيمان على التصديق القلبي، وحملت شعار «لا تنفع مع الكفر طاعة، كما لا تضر مع الإيمان معصية». وقد قيل: إن أول من أحدث الإرجاء وتكلم في مسألة الإيمان قيس الماصر.

3. الجهمية: وهي أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته، وأهم مبادئ هذه الفرقة القول بالجبر، وأن الجنة والنار تبيدان وتقنيان، تأسست على يد الجهم بن صفوان.

4. المعتزلة: وهي فرقة متفرعة عن الجهمية، غير أنها تعد من أشهر الفرق الكلامية، ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري واشتهرت بمجموعة من الآراء العقدية التي ترجع في مجملها إلى أصولهم الخمسة المعروفة وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5. الكلابية: وهي فرقة نشأت في سياق الرد على الجهمية والمعتزلة، وتنسب هذه الفرقة إلى عبد الله بن سعيد بن كلاب، وقد كان لهذا المذهب وجود في العراق والري وخراسان وكان له انتشار في بلاد ما وراء النهر، وهي أقرب الفرق إلى مذهب الأشاعرة.

6. الأشعرية: وهم أهل السنة والجماعة، ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري الذي أسس هذا المذهب للدفاع عن عقيدة أهل السنة والرد على المخالفين من أهل الأهواء وخاصة المذهب الاعتزالي الذي كان أقوى المذاهب الكلامية في ذلك العصر، يقول ابن خلدون: «ولما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدريس والبحث في سائر الأنحاء وألف المتكلمون في التنزيه، حدثت بدعة المعتزلة، فقضوا بنفي الصفات، وكان ذلك سبباً لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على

هذه العقائد، دفاعاً عن صدور هذه البدع، وقام بذلك الإمام أبو الحسن الأشعريّ إمام المتكلمين». [العبر، 1/588].

7. الماتريدية: وهي فرقة من فرق أهل السنة أيضاً نشأت في سمرقند من بلاد ما وراء النهر في بداية القرن الرابع على يد أبي منصور الماتريدي، وهذا المذهب أقرب المذاهب إلى المذهب الأشعري في الصفات، والجمع بين العقل والنقل في الاحتجاج، وغير ذلك.

التقويم

1. ما هي أسباب نشأة علم الكلام؟
2. أوضح سياق نشأة كل مذهب من المذاهب الكلامية الواردة في الدرس.
3. أذكر خاصية واحدة من خاصيات كل مذهب.

الاستثمار

قال ابن خلدون رحمه الله: «هذه أمهات العقائد الإيمانية معللة بأدلتها العقلية وأدلتها من الكتاب والسنة كثيرة، وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد إليها العلماء، وحققها الأئمة إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد، أكثر مثارها من الآي المتشابهة فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل وزيادة إلى النقل، فحدث بذلك علم الكلام».

[العبر، 1/586].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1. أبين المقصود بأمهات العقائد الإيمانية التي يشير إليها النص.
2. أفصل الكلام انطلاقاً من النص في سبب حدوث علم الكلام.

الإعداد القبلي

أراجع مصادر الأشاعرة، وأبحث عن الآتي:

1. التعريف بالمذهب الأشعري.
2. أهم أصول المذهب الأشعري.